الامية في الغرب

ليس لدينا ما يركن اليه من الاحصاءآت في نسبة عدد الأميين في بلاد الغرب الى المتعلمين من أبنائهم اذ أن احصاءَ اليوم قد لا ينطبق عليه احصاء غدٍ . والذي علم بالتحقيق ان الممالك الاوربية الصغرى كالدانيمرك والباجيك وهولاندا واسوج ونروج وسويسرا هي أكثر اهل أوربا انغماساً في التعليم وأقل أهلها اميين حتى ان عدد هؤلاء بالنسبة الى المتعلمين يكاد لا يذكر ويكفي أنه لا يوجد في سويسرا غير شخص واحد أمي في كل الفين من السكان ذكورهم وأناثهم

ولئن كان التعليم اجبارياً في بعض الممالك الكبرى باوربا واميركا فلا يزال عدد الأميين يذكر فيها وفرنسا هي في مقدمة الدول العظمى بقلة أميها وكثرة متعلميها ومنوريها . وجميع الدول شاعرة بوجوب التعليم تتفنن كل يوم في بثه على أساليب لم يكن يحلم بها اليونان والرومان ولا العرب ولا غيرهم من الامم العظيمة التي كان لها شأن في بعض أزمان التاريخ . وقد ارتقت المدارك في الغرب حتى أصبح ما كان يدعو اليه خاصته في أوائل القرن الماضي قضية مسلمة عند الخاصة والعامة في أوائل هذا القرن وصار عليه الفتوى والعمل . كل ذلك بفضل اهل العلم منهم وعلى حسب سنة الترقي قال (١): بنتام ذهب بعض قادة الامم الى ان انتشار المعارف مضر وظنوا بأن قيمة الناس تعلو بمقدار نقصهم في المعارف وانه كلما نقصت معارفهم

---

(١) هذه الصحيفة ملخصة من كلام لبنتام المتشرع الانكليزي المتوفى سنة ١٨٣٢ في كتابه أصول التشريع الذي عربه حضرة العالم الفاضل أحمد فتحي بك زغلول من قضاة مصر

غابت عنهم معرفة الاشياء التي تبعثهم على الضرر أو علمهم بوسائل فعله. وهو غلط فان انتشار المعارف ما كان ولن يكون سبباً في ازدياد الجرائم ولا مسهلا لارتكابها ولكنه نوّع الطرق في اقترافها فاستعملت وسائل أقل ضرراً من التي كانت قبلها . لنفرض ان الاشرار يستفيدون من كل أمر وانه بقدر معارفهم يسهل عليهم الضرر فهل نتيجة ذلك بقاء الناس جميعاً في ظلمات الجهل ولو كان خيار الناس وشرارهم منقسمين الى نوعين ممتازين كالأمة البيضاء والأمة السوداء لقصرنا المعارف على الأولى وأبقينا الثانية في الجهل لكن تعذر ذلك وملازمة الخير للشر في الشخص الواحد تدعونا الى القول بجعل الكل تحت نظام واحد فاما جهل مطبق للجميع وإما علم للجميع ولا وسط بينهما

على ان الدواء في الضرر نفسه لان المعارف لاتساعد الاشرار على شرورهم الا اذا اختصوا بها لكن اذا عمت سهل على غيرهم ان يعرفوا حبائلهم فيسقط تأثيرها. ألا ترى ان الامم في ازمان الجهل ما كانت تعرف من السميات الا ماتسقي به أسنة رماحها ولكن الامم المتمدنة عرفت جميع انواع السميات وعرفت أيضاً كيف تقابلها بما يدفع ضررها . كل انسان يمكنه ان يفعل جريمة ما وذو المعارف وحده هو الذي يتمكن من وضع قانون لمنعها وكلما قصرت معارف المرء صار ميلا الى فصل منفعته عن منافع الغير وكلما ارتفعت مداركه وسمت معارفه علم الجامعة بين المنفعتين .

وبعد فان من نالوا غايتهم حقيقة بجعل أممهم في حضيض الجهل انما نالوها بنشر الاوهام واذاعة الاغلاط فيهم ولقد كان أولئك الرؤساء أنفسهم طعمة في هذه السياسة الحرجة اذ صارت الامم التي استمرت في السقوط تحظر قوانينها عليها ان تصعد في مراقي التقدم فريسة الامم التي

ارتقت معارفها فارتفعت قيمتها عليها . لان الاولى شبت في الجهل وشابت في الطفولية تحت قيادة قوم أطالوا زمان خمولها ظناً بأنه يسهل عليهم تملكها لذلك سهلت تلك الامم فتح أبوابها للطالبين اذ لا فرق عندها بين حاكمها والجديد فهي خاضعة وأولئك يحكمون

هذا ماقاله المتشرع الانكليزي وقال روبرتسون: كان الافرنج في القرون الوسطى أميين لايقرأون ولا يكتبون فكان الاعيان لايحسنون توقيع الكتب الصادرة عنهم فيكتفون برسم الصليب عليها بدلاً من التوقيع وقد شوهد كثير منها في الازمنة الاخيرة بعضها صادر عن الملوك وبعضها عن الاعيان كما ذكر دوكنج بل وجد في القرن الرابع عشر ان أعظم أكابر عصرهم وقوادهم مثل دوغسقلين رئيس الجيوش الفرنسوية أمياً . وكان معظم القديسين أرباب المناصب الدينية والدنيوية لا يحسنون كتابة اسمائهم على المقررات في المجالس وكان أعظم امتحان يجري على من يروم ان يتقلد وظيفة سؤاله عما اذا كان يحسن قراءة الانجيل والمكاتبات ويفسر معناها كلمة كلمة .

ولطالما كان الملك الفريد الاكبر يشكو من أنه لايوجد في البلاد الواقعة بين نهري هومبير والتايمس أحد من القديسين يفهم الدعوات القديسية بلغتها الاصلية ويتمكن من ترجمة العبارات السهلة من اللاتينية . وسبب ذلك ندرة الكتب وعدم انتشارها وذلك ان الرومانيين كانوا يكتبون كتبهم على جلود مصقولة أو على رق قشر البردي ويقال له ايضاً ورق النيل لانه كان يأتي اليهم من مصر ولما كان ورق البردي أرخص كان استعماله عندهم أكثر من الجلود . وبعد أن فتح المسلمون بلاد مصر انقطعت الصلات

بين أهل مصر وأهل ايطاليا وغيرهم عن أمم اوربا فاضطر الناس أن يكتبوا جميع الكتب على الجلود فاصبحت نادرة . وقد مضت القرون على أوربا والكتابة والكتب نادرة عزيزة في كل أقطارها حتى ان لويز الحادي عشر لما استعار من جمعية الطب البشري بباريز مؤلفات الفخر الرازي أحد فلاسفة المسلمين اضطر أن يرهن مقداراً جسيما من أعلاقه

وقصارى القول فقد أصبح الاوربيون بعدان كان علماء الشرع والتاريخ منهم ينادون بما ينادون به على نحو ما تقدم آنفاً يعلمون اليوم ابن الزارع والتاجر والعامل والعالم والموظف مالا غنية له عنه في هذه الحياة الدنيا من الكتابة والقراءة الحساب ومبادىء الجغرافية والتاريخ والشريعة البسيطة . وفي فرنسا مثلاً يتعلم الجميع الا انه ينقطع ناس تفردوا بالذكاء ومن كان أهلهم في سعة من العيش يستطيعون معها الانفاق على أولادهم يدرسون الدروس العالية كالطب والصيدلة والمحاماة والهندسة والعلم والأدب وخدمة الحكومة بيد أن علماء الفرنسيس يشكون اليوم ـ وأي أمة لا تشكو من حالها حباً بالازدياد من الارتقاء ـ من المتعلمين على هذا النمط وانهم فائضون عن الحاجة وينادي علماؤهم بانهم لو الغوا درس اليونانية واللاتينية القديمتين وكفوا بنيهم مؤونة ترجمة سوفقلس وفيرجيل وانهم لو استعاضوا عنها بان ذهبوا مثلاً الى المستعمرات وزرعوا قصب السكر وباروا الالمان والانكليز في الشؤون الاقتصادية لكان أنفع لهم واجدى على مجتمعهم

يقولون ان شيادة العالمية (بكلوريا) التي سماها أحد ظرفاء الفرنسيس «جلد حمار» قد أخرتهم عن اللحاق بالامم وقد غشي على بصائر بعض العقلاء منهم فصاروا لا يرون الفضل والعقل الا فيمن درس هذه الدراسة الا ان

اهل النقد منهم يقولون ان من اسس معملا توفرت فيه الاعمال وجرت على اتمها وكثرت فيه الاختراعات والتفنن وتابعاً اسس بيتاً تجارياً نجح فيه ليس في نظر المجتمع الانساني دون ذاك العالم الذي يحمل شهادته في السلم والادب بل هو فوقه . وما صح منذ نحو ثلاثين سنة للفرنسيس لا يصح لهم ان يتعاطوه اليوم والحياة الاجتماعية في تبدل مستمر والحضارة تصير من يوم الى يوم حضارة صناعية علمية . وقد قال جول سيمون احد فلاسفة الفرنسيس ينبغي ان نكون ابناء احرياء بهذا العصر كما قال العرب خلقوا اولادكم بغير اخلاقكم فانهم خلقوا لزمان غير زمانكم

الغناء المصري

الغناء صوت النفس وهو في كل أمة صورة آدابها وأخلاقها وعاداتها فبينا ترى الوحشيّ في مفازة تمشي الرياح بها حيرى مولهة وهو يتغنى بذكر الشمس والماء والشراب والعربيّ تحت القبة الزرقاء يتغنى بذكر البدر والليل والخيل اذا أنت بالحضري وهو آمن في سربه مطمئن في عقر داره لا يخشى زئير الاسد ولا يتطلب الغيث وقد احتفت به النواني والغيد ، والجواري والعبيد ، وهو يرتع في خمائل البساتين ، يتجرع كؤوس الهناء ، ويتغنى بذكر الجمال ، والتيه والدلال ، والرقيب والعذال ، والعتاب والوصال ، وترى الجنديّ يتغنى بذكر الحروب ، ويترنم باغاني الوغى ، ويطرب لوقع السيوف على السيوف ، كما يطرب الحضري لوقع الصنوج على الصنوج ، أو لدق الانامل على الأوتار والدفوف

والغناء قديم وجد مع النفس لان الانسان ما لبث لما أخذ بصره